

## الرؤية القومية لكتابة تاريخ الخليج العربي

د. مصطفى عبدالقادر النجار

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

هناك جملة من الحقائق والمسلمات التاريخية لابد من الاخذ بها قبل الكتابة في تاريخ اية بقعة من الوطن العربي ، هي ان تاريخ الامة العربية كل لا يتجزأ وان الكتابة في تاريخ الاقليم او القطر او المدينة لا يعني ان تلك البقاع عاشت بمعزل عن حركة التاريخ الذاتية للامة العربية ، وان اصطناع أي تاريخ لاي بلد عربي يكون عبئا ثقيلا على الصناعة التاريخية وعلى صوت التاريخ .

من هذه الحقائق يستنتج ان التاريخ العربي مهما تعددت ميادينه ومسارحه وتشعبت جوانبه هو تاريخ واحد يرجع لاصل المنبع الواحد .

فتاريخ الخليج العربي هو جزء من تاريخ الوطن العربي . وان أي تغير يتعد عن هذه الحقيقة لا يمكن ان يجد له المناخ الصالح للديمومة والبقاء . لذا فان اية دعوة برزت في منطقة الخليج العربي تدعو الى الاسرية او العشائرية او القطرية او الاقليمية في كتابة التاريخ اجهضت ولم يكتب لها النجاح . والواقع ان منطقة الخليج العربي قد ابتليت بتلك الدعوات من لدن نفر أغراه الكسب المادي على حساب الامانة التاريخية ، فاصطنع لبعض الاقطار تاريخا قديما ووسيطا وحديثا ، وهم يضربون صفحا عن كل ما جرى في الوطن العربي في ميدان الفعل التاريخي ، ويهملون التفاعلات التاريخية والحضارية ويعزلون تاريخ القطر الواحد عن الروافد التي صبت فيه وتلك التي صب فيها . ويخلون بوحدة التاريخ الكبرى التي يؤلف أي تاريخ قطري جزءا منها .

دراسات تاريخية ، ٢٧ و ٢٨ ، ايلول - كانون الاول ١٩٨٧ .

ان أي فصل بين اجزاء الحياة العربية المتماسكة عبر التاريخ او تقطيع الخيوط التي تربط ما بينها ، أو أي سد مصطنع يقدم بين مجاريها ، وأي انحراف من هذا النوع هو محنة كبرى يجب الوقوف بوجهها . واقسى ما يواجهه المؤرخ عندما يكتب في تاريخ الخليج العربي ان مصادر بحثه تتفاوت ما بين مصادر اجنبية كتبها مؤرخون اجانب لم ينصفوا المنطقة ولم يكتبوا بروح علمية مجردة ، وفهموا تاريخ الخليج العربي على انه تاريخ للعلاقات الخارجية الدولية ، وأهملوا دور الشعب العربي في صنع التاريخ وكان المنطقة تعيش فراغا . وبين مصادر دينية متطرفة تفهم التاريخ فهما طائفا او مذهبيا او أميا ، ومصادر رسمية تفهم التاريخ على انه تاريخ الاسر والحكام والملوك .

ومصادر لا هذا ولا ذاك ، ولكنها متأثرة بمدارس الشرق والغرب فتقتات على فتات موائدها وتجد التبرير لتفسير الاحداث المحلية في الخليج العربي وفق القوالب الجامدة التي اقتبستها وكان تاريخ الخليج العربي لا هوية له ، ومع هذا فمن الواجب الاعتراف بان هناك مصادر اصلية وعلمية ، وذات منهج قومي واضح تبشر بخير هي التي تعتمد من قبل المؤرخين العرب في الدراسات التاريخية المعاصرة ولنا ان نساءل بعد ذلك عن نظرتنا الى تاريخ الخليج العربي ، وصلة هذه النظرة بالمدرسة التاريخية المعاصرة ، ومن الواضح ان اليقظة العربية الحديثة رافقها اهتمام واسع بالتاريخ العربي فبرز مؤرخون في الوطن العربي اخذوا دورهم في توثيق احداث الامة وكتابة تاريخها ، فكونوا وعيا تاريخيا يشمل منطقة الخليج العربي . فظهرت دراسات جادة تؤكد فكرة الامة ووحدة تاريخها ، وتدعوا الى تأكيد تاريخ الشعب في الخليج العربي لا تاريخ الحكام او الاسر او الطائفة او القبيلة ، لان دراسة التاريخ من تلك الزوايا تورث التجزئة .

كما ان الاهتمام بالتاريخ السياسي قد تم تجاوزه الى التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والحضاري والفكري والعسكري والنفسي وبهذا فان الرؤية التاريخية لصيرورة الامة ومسارها عبر التاريخ قد اكتملت تفسيراتها ولم تبق اسيرة جانب واحد او نظرة ضيقة .

ومن هنا لابد ان نتفائل بان تاريخ الخليج العربي بدأ في المرحلة المعاصرة يأخذ موقعه بين الكتابات التاريخية القومية ، وخرج من الطرق التقليدية والتفسيرات والمدارس والقيود والانحرافات والتشويهات التي ابتلي بها ردحا من الزمن ، باعتبار ان ازمة الواقع العربي المعاصر خلق وابداع للدراسات التاريخية ، ذلك ان الامة في اوقات محنتها تعود الى التاريخ لتستمد منه القوة ولتفيد في سعيها لبناء حياتها القومية الجديدة . وعليه ان المدرسة التاريخية العربية المعاصرة التي يتبناها اتحاد المؤرخين

العرب ويصر على نشر دعوته لاعادة كتابة تاريخ الامة من منطلق خصوصيتها واهدافها ورسالتها الخالدة تستدعي منا وقفة تاريخية شاملة لتجيب عن اسئلة اساسية عن واقع العرب في منطقة الخليج العربي المعاصر والقيم التي يؤمنون بها ويسعون لتحقيقها ومن أي جذر نبتت وتفرعت المعاصرة العربية في الخليج العربي ، وما هي عناصر قوتها وضعفها ، وما هي طبيعة التراث التي تؤمن به والنهضة التي تتوثب لبنائها . هذه المدرسة التي تبنها المؤرخون في الاتحاد تدلنا على ان الانسان العربي في الخليج العربي الذي يعيش الحاضر لا يمكنه ان يشيح بوجهه عن الماضي وان التنبه الى التاريخ القومي كان من اعظم اركان تلك المدرسة ، على ان تكون العودة الى التاريخ عودة اصيلة متبصرة يوضحها فهم صادق لعلاقة الماضي بالحاضر والمستقبل . وتذهب المدرسة القومية التاريخية في الاتحاد الى انه كلما ارتفعت مراتب الانسانية عند الانسان العربي في الخليج العربي ارتقت نظرة التاريخ وغزر فعله التاريخي ، وكلما كان وعيه للماضي اعمق اغتنى كيانه الانساني وزاد الحس التاريخي والفعل التاريخي لديه .

ان كتابة تاريخ الخليج العربي يجب ان ترتفع فوق مجرد رواية الاحداث وترديد الاخبار الى استجلاء معانيها وبيان اثارها في مشكلات الحياة المعاصرة ، والمساهمة في تنقية كيان المنطقة الذاتي وتاصيله واغناثه ، والعودة الى سير الايصال وسجل الانتصارات وروائع الادب والشعر ، ومآثر العلم والاخلاق والقيم والمبادئ لبناء حياة الخليج العربي الجديدة .

ولهذا بات واضحا بان الصناعة التاريخية تلك تكاد تكون صعبة ، فهي تنطوي على سلسلة من الجهود المحكمة المتتابعة تبدأ في اكتشاف الاثر او الوثيقة الخليجية التي خلفها الماضي وتنتهي بالتأليف التاريخي لبلوغ الهدف السامي . ولا بد هنا من ان نذكر بان تلك الايجابيات قد تخفي بين طياتها سلبيات أو مصاعب في كتابة تاريخ الخليج العربي ، يجب ان نتنبه لها المدرسة القومية التاريخية المعاصرة اذا ما اردنا لتاريخنا في الخليج العربي المجد وعدم الشطط ، ومن تلك السلبيات تجزئة الحقيقة التاريخية التي تكون في كثير من الاحيان اصطناعية وحصر النظر في الجزئيات ، وعجز بعض المؤرخين عن رؤية الصورة شاملة ، فيأتي انتاجهم مخلا مضللا . وهذا ما وقع فيه مؤرخون كتبوا عن تاريخ الخليج العربي وهم في الوقت نفسه يتبنون الدعوة لاعادة كتابة ما شوه منه .

فاختيار المصطلح التاريخي بات من اولى ضرورات البحث التاريخي فلا يمكن اقرار مصطلح الانسان الخليجي مثلا او الحضارة الخليجية او التراث الخليجي او الثقافة الخليجية وغيرها في وقت تدعو المدرسة التاريخية الجديدة لاصلاح ما افسده الدهر . ذلك ان منطقة الخليج العربي عاشت وحدة سياسية وحضارية وتراثية

وثقافية مع المنطقة العربية دون اية فواصل او حواجز او تباعد ، فلماذا تشاع تلك المصطلحات . ولو اقرت تلك المصطلحات مثلا لاصبح بالامكان استعمال مصطلح انسان البحر الاحمر والبحر الابيض والبحر العربي ، وكل الخليجان والبحار العربية الاخرى .

كما ان كتابة تاريخ الخليج العربي المعاصر متأثرة جدا للأسف الشديد بالوثائق الاجنبية للاقوام التي غزت المنطقة وتركت بصماتها عليها ، فظهرت دعوات لاعتماد الوثيقة وكأنها آية قرآنية لها قدسيته في وقت نحن نعلم ان تلك الوثائق كتبت من قبل الرسميين الاجانب الذين حكموا المنطقة ونقلوا تصوراتهم الى حكوماتهم وفق الرؤية الخاصة بهم لخدمة مصالح بلدانهم ، فلا تمثل كتاباتهم والحالة هذه كل الحقيقة وانما تعبر عن الصورة ناقصة . لذا فان الدعوة للاخذ بالوثيقة الخليجية هي ان تخضع لتمحيص وتدقيق ودراسة ومقارنات واعية وشاملة وعميقة بغية توثيق حقائقها والاخذ بما يمثل الحقيقة التاريخية فقط .

هذا من جانب ، ومن جانب اخر فان اية دراسة تاريخية لمنطقة الخليج العربي لا تعتمد الوثيقة اساسا لها ، تبقى دراسة احادية الجانب تنظر للحدث التاريخي بعين واحدة . فالوثيقة سند المؤرخ في الكتابة التاريخية . ومن هنا يجب الاخذ بالموازنة في استعمال ادوات البحث التاريخي .

واخيرا فان التفسيرات التاريخية التي قطعت شوطا كبيرا من اجل ان تحقق المدرسة العربية للتاريخ الحديث في الاتحاد اهدافها قد عالجت مثل تلك السلبيات واعطت نتائج مثمرة يمكن اعتمادها كدليل عمل للمؤرخين العرب في منطقة الخليج العربي حيث نالت تلك المجالات نصيبا واضحا من اهتمامها وعالجت جذورها وسلطت الضوء على دوافعها والمؤثرات العامة التي اثرت فيها ووضحت خصائصها في كل مجالات كتابة التاريخ التي عانت منها .

والمدرسة التاريخية العربية المعاصرة ، اذ تدرس تاريخ الخليج العربي ، تدرسه لتعزز وجهة النظر العربية لاغراض النضال والصمود وقدرة الامة في التقدم الى الامام . ولتنشئ ابناء الامة من التفسيرات البغيضة الحاقدة التي تحاول تشكيك ابناء الامة بذاتهم ، وبماضيهم وقدراتهم وفكرهم الخلاق ..